المعسكرين ، وبروز قوى عالمية جديدة واتجاه الدول نحو الاستقلال والامم نحو التحرر والشعوب نحو الثورة .

١ ــ الحقوق القومية في الثورة القومية البرجوازية

كانت أوروبا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ، قد أخذت تضيق بقيودها . كانت المؤسسات الاقطاعية قد أصبحت قيودا تكبل نمو قوى الانتاج الجديدة وأعجز من أن تفي بحاجات أوروبه في عهد الفتوح والسيطرة على العالم . وكانت البرجوازية تطمح الى عالم جديد يضمن مصالحها ومطامحها .

وأخذ الفكر يعبر عن هذه التطلعات . ولما كان الوضع القائم آنذاك يصادر حرية الانسان : يحرمه من أن يفكر بحرية ، ويمنعه من أن يكون له رأي في اختيار دولته ، فقد اتجه الفكر الى معالجة هاتين القضيتين .

فالفكر يجب ان يكون حرا ، وبذلك يستطيع ان يستخدم كل امكانياته استخداما سليما . يقول كانت Kant في هذا المجال : « يجب ان يكون الانسان حرا ليتعلم كيف يستخدم امكانياته بطريقة حرة ومفيدة »(١).

ولكن الحرية لا تعني ان يكون للانسان حق ان يفكر فقط . انها تعني ان يشارك في اختيار الطريقة التي يحكم بها . وكانت أوروبه ممزقة بين دول اقطاعية صغيرة ودول امبراطورية تتجاوز حدود القوميات ، وكان لا بد من أن ينتهي التمزق الداخلي ، وان تسقط اشكال الدولة الامبراطورية القديمة . ولهذا كانت الدولة القومية هي الحل . يقول مل: « من الشروط الضرورية بصورة عامة للنظم الحرة ان تنسجم حدود الحكومات انسجاما كاملا مع حدود القوميات »(٢).

ويقول لينين في أطروحته ، الثورة الاشتراكية وحق الامم في تقرير المصير : ان مطلب حق تقرير المصير أثارته البرجوازية الصغيرة في البدء في القرنين السابع عشر والثامن عشر(٣).

وقد انعكست فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر في بيان الاستقلال الاميركي. ويركز بيان الاستقلال الاميركي على حقائق ثلاث :

الاولى : « ان جميع الناس قد ولدوا متساوين ، وان الخالق قد أنعم عليهم بحقوق معينة لا يمكن انكارها ، وان من بين هذه حق الحياة ، وحق التمتع بالحرية ، وحق البحث عن السعادة » .

الثانية : ان الحصول على هذه الحقوق يتطلب : « ان تقام الحكومات لخدمة الناس على أن تستمد سلطاتها العادلة من تعاون المحكومين وموافقتهم » .

الثالثة : « وكلما أصبح أي شكل من اشكال الحكومة مصدر خطر على هذه الاهداف، فمن حق الناس أن يغيروا هذه الحكومة أو أن يلغوا وجودها الغاء ، ومن حقهم ان يقيموا حكومة جديدة على أسس من المبادىء المعينة ، وان ينظموا سلطاتها بطريقة خاصة بحيث تبدو لهم هذه المبادىء وتلك الطريقة قادرة على تأمين سلامتهم وتحقيق سعادتهم »(٤).

ولن نخوض كثيرا في بحث الفلسفة السياسية للثورة الاميركية . يكفي أن نقول انها جاءت اليهم عن طريق « لوك وهارنجتون وغيرهما من الكتاب الانجليز في القرن السابع عشر »(٥) أكثر مما جاءت اليهم عن طريق المفكرين الفرنسيين أو الالمان .

ان الثورة الاميركية هذه التي كانت صدى للثورة السياسية في أوروبه ، وكانت مفعمة